هاجس الموت وانعكاساته في أدب مي زيادة

Death's obsession and its repercussions In MayZiada's literature

رقية شروانة[1] ،

[1] المدرسة العليا للأساتذة آسية جبّار قسنطينة (الجزائر)، che_rouana@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/03 تاريخ القبول: 2022/11/07 تاريخ النشر: 2022/11/14

الملخص:

عبرت كتابات مي زيادة عن الأزمة الفردية للإنسان في تيه عالم يضجّ بالمتناقضات، وشكل ذكر الموت ومعانيه هاجسا مركزيا في بروتوكول حياتها.وتمكنت بفعل هاجس الموت وحضوره المتكرر من إعادة ترتيب معنى الوجود وفقا لمعنى الفناء. وفي هذه الدراسة تحليل لظاهرة الموت في أدب مي، كيف عاشت أحداثها الدامية؟ وكيف عبرت عنها، وماهي خصوصية خطابها وأنساقها التعبيرية التي حشدتها في مواجهة ذلك القدر المحتوم.

كلمات مفتاحية: الموت، العصاب، أدب،أنساق

Abstract:

MayZiada's writings expressed the individual crisis of man in a world full of contradictions, and the mention of death and its meanings constituted a central concern in her life protocol. She was able, by obsession with death and its repeated presence, to rearrange the meaning of existence according to the meaning of annihilation The pesent study comprises an analysis of the phenomenon of death in May's literature: how she lived her bloody events;how she expressed it, what is the peculiarity of her speech and the expressive patterns that she mobilized in the face of that inevitable fate.

Keywords

Death, neurosis, literature, patterns

المؤلف المرسل: رقية شروانة، **الإيميل:** che_rouana@yahoo.fr

1. مقدمة:

ناقشت مي زيادة في مؤلفاتها سؤال الموت وما يكتنفه من رموز بعد سلسلة من المعاناة بدأتها بفقد جميع أحبتها، ودخولها في مرحلة المرض والهلوسة إيذانا باقتراب المصير، وعبر مساءلتها المستمرة لمعنى الموت، تقول: "لعل أول حركة باطنة يحاول بها المرء أن يرد الأثر الذي يتركه في نفسه سماعه للكلمة "مشكلة الموت" أن يتساءل: هل الموت مشكلة؟ أو ليس الموت واقعة ضرورية كلية لابد لكل فرد أن يعانيها يوما؟ أو لسنا نعرف جميعا هذه الواقعة، لأننا نستطيع أن نشاهدها لدى الآخرين؟ فمن الناحية الوجودية يلاحظ أولا أن الموت فعل فيه قضاء على كل فعل، وثانيا أنه نهاية للحياة بمعنى مشترك، فقد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء الإمكانيات وبلوغها حد النضج والكمال، كما يقال عن ثمرة من الثمار إنها بلغت نهايتها، بمعنى تام نضجها واستنفاد إمكانيات نموها؛ وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الإمكانيات عند حد، وقطعها عند درجة مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق بعد وقد تكون بمعان أخرى" (بدوي، 1945، صفحة 4.5).

وتخلص مي في تحليلها إلى أن الموت حق، وكلنا يموت، ولن ينجو أحد من هذا القدر، وعلى الرغم من أن الموت حق لكنه يفزعنا ونصاب بفاجعة إذا فقدنا عزيزا علينا، "إننا لا نعرف ماذا عسى أن يكون الموت، كما أننا قلما نفكر فيه بنظرنا بعد الموت فليس خوفنا من الموت سوى صورة مقنعة من صور خوفنا من الحياة" (زكريا، صفحة 165).

وقد تواتر ذكر الموت عند مي زيادة في الكثير من مقالاتها لاسيما وقد فجعها القدرفي أخيها الأوحد، ثم (كنارها) الذي كانت تستأنس به، ثم في والديها وجيرانها وثلة من الأصدقاء المقربين منها. فتارة تنعته بالموت الأغبر في كتابها (كلمات وإشارات)، وتارة أخرى تراه ألعوبة "لأنّ الحياة والموت ألعوبتان في يد النظام المطلق نظام التحول الشامل" (زيادة، 1982، صفحة 89).

وقد ترك الموت أثارا في نفسية "مي"، فتمنت الموت، وطلبته وخيل إليها أنها سترحل فعبرت عن اشتياقها لذلك "فإن الموت سيحملني غضة الشباب فيطير بي إلى حيث تسبح الملائكة وتلبث الأزهار ناضرة.أشتاق إلى الموت هذه الأيام: ذلك لأني لا أفهم الحياة التي يقول مرشدنا الروحي إنها مشكلة المشاكل.لقد استيقظت باكرا هذا الصباح، فلبثت في سريري لا

أبدي حراكا وأنشأت أتأمل "ما هذه الحياة التي نحياها؟"، كنت أكرر لنفسي ما هذه الحياة التي قال عنها المرشد إنها مشكلة المشاكل... وإنها سريعة سرعة السهم المنطلق في الفضاء" (عواد، 1981، صفحة 16.17).

ويعد هذا النزوع نحو الموت هو في الحقيقة نزوعا سلبيا، هذا ما يجعل الإنسان يفقد الثقة بنفسه وذويه، فهو يدل على خيبة وفشل الشخص في التكليف، فيقنط ويجد راحته في الموت،والنوائب التي أصابت "مي زيادة" كفيلة بأن تجعلها تتمنى الموت لاسيما الأحداث والصدمات التي تلقتها في نهاية حياتها! لقد مرت بظروف عصيبة وصورت تلك الدسائس والنكسات في مذكراتها:"...أشعر بوهن كلي، ولم أعد قادرة، لا على الحياة ولا على الموت، ولا حتى على الوقوف في برزخ بينهما أكتب فقط، وأعاود الكتابة، لكي لا أموت اختناقا بالجنون والجحود. ..." (لعرج:، 2018، صفحة55.56) وهو رد فعل طبيعي نتوقعه من أديبة ألمعية يتنافس عليها فطاحل الأدباء، كما عاشت مدللة معززة في كنف والديها ثم تتهم بالجنون، وتداس كرامتها، فلا شك أنها لم تجن بل أصيبت بخيبة أمل بعد هذه الأحداث والتنكيلات التي فعلها بها من حولها،وقد عبر سيجموند فرويد بأنه إذا ما "واجهنا موت العديد في وقت واحد، فإن ذلك يبدو لنا مثيرا للذعر بشكل زائد" (فرويد، 1981، صفحة 28).

2. مدخل مفاهيمي لمصطلح الموت.

قاربت مي زيادة المفهوم بدلالات ومعان تقترب من دلالات ومفهوم الموت ومعانيه كما جاء في الأدبيات الكلاسيكية مستشهدة بقول الإمام الفخر الرازي: "الموت ضد الحياة. مات، يموت ويمات. أيضا: فهو ميت، مشددا ومخففا وقوم موتى، وأموات، وميتون، وميتون مشددا ومخففا ويستوي فيه المذكر والمؤنث.

قال الله تعالى:"لنحيي به بلدة ميتا"، سورةالفرقان الآية49، ولم يقل ميتة. والميتة ما لم تلحقهالزكاة. والموات – بالضم – الموت. والموات –بالفتح– الأرض التي لا مالك لها ولا ينفع بها أحد. والموتان – بفتحتين – ضد الحيوان، يقال: اشتر الموتان ولا تشتر الحيوان. ويقال: أماته الله، وموته أيضا. والمتماوت: من صفة الناسك المرائي" (الرازي، 1983، صفحة 507).

وحاولت أن تشخص المعنى الإصلاحي للموت وتأثيراته النفسية على حياتها وتجربتها الشخصية وانعكاساته على أدبها، وتقديم تأويلات بشأنه والإمساك بمعناه المتعدد، أو بالأحرى بمعانيه المتعددة وفي بعض الأحيان فإنه يتجاوزها وينفلت من كل تحديداتها.

3. أثر الموت في نفسية مي:

توالت على "مي زيادة" أحداث الموت، فلا يكاد جرح فقد عزيز يلتئم إلا تصيبها نكبة أخرى، فلم تسلم من نوائب الدهر وقسوته عليها، فترك في قلبها جرحا عميقا لا يندمل وكبدا يحترق على مدى الأيام.

وعلى الرغم من محاولاتها العديدة للنسيان أو تناسي الهموم بالأحرى إلا أنها لم تستطيع، فكم مرة حاولت الترويح عن نفسها بالأسفار والرحلات والكتابة ولكن؟!.

كانت أحداث الموت متسلسلة، فلم تلبث أن استسلمت للآلام التي فتكت بهاوحولتها إلى عجوز قبل الأوان!.

فظلت تذكر أخاها الذي مات طفلا، ولم تنسها الأعوام ذكراه فكان الأطفال يذكرونها بالأخ الأوحد: "لم أر حولي سوى سيدتين إنجليزيتين مع إحداهما ثلاثة أطفال، وإن هي إلا دقائق حتى اقترب مني أحد هؤلاء وهو صبي في الرابعة من سنواته فناديته: "تعال أيها الصغير!".فدنا واجفا باسما، فسألته: "ألا تجلس على ركبتي؟" فجلس صامتا.ولما شعرت بثقل جسده الصغير ذكرت أخي الوحيد الميت، ووثب قلبي إلى شفتي وجالت الدموع بين أجفاني. .." (زيادة، ظلمات وأشعة، المؤلفات الكاملة ج 2: جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، 1982، صفحة 288).

و قد يكون السر وراء تعطش "مي" ولهفتها على الأطفال هو موت الأخ الذي أثر فيها أبلغ تأثير فقد أصرت على سرد قصته بتفاصيلها الدقيقة، وخصته بإهدائه كتابها "ابتسامات ودموع" الذي ترجمته عن الألمانية قائلة: "إلى العينين اللتين أطبقهما الموت قبل أن ألثمهما. إلى الابتسامة التي لا أعرف منها إلا خيالها. إلى الاسم العذب لا تهمس به شفتاي دون أن تملأ عني الدموع. إلى الطفل الذي رحل إلى خالقه و يتم في عاطفة الحب الأخوي فحرمني من حنو الأخ وقبلته وابتسامته ودمعته إلى أخي الوحيد الذي تقاسمه الأثير والثرى" (زيادة،

ابتسامات ودموع، المؤلفات الكاملة ج 2: جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، 1982، صفحة 613).

وقد رثته بقصيدة رائعة عنوانها "نحيب" وردت في ديوانها "أزاهير حلم" (Fleurs de rêve) و ترجمتها إلى العربية السيدة سلمى الحفار الكزبري، قالت في إحدى مقاطعها (زيادة، باحثة البادية، المؤلفات الكاملة ج 1: جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري،مؤسسة نوفل،بيروت،لبنان،ط1،، 1982، صفحة 18):

أيها الطفل الذي رحل منذ زمن بعيد،

أيــها الأخ الذي صار مــلاكا جميلا،

اغفــر لي صوتي المزعج الحزين،

آه! كم أتمنى أن ترجع إلي، دون إبطاء،

و تستــرد ذلك الثـوب النضير،

ثوب الطفولة و الحياة،

لتنظر إلي بضع لحظات!

وقد أعجب الشاعر "خليل مطران" بهذه القصيدة فكتب قصيدة رائعة تقريظا لهذا الكتاب "أزهار الحلم" الذي أهدته "مي" إلى روح أخيها، جاء فيها (3، 1982، صفحة 18):

ذكرى و أية ذكرى لمــن تولى فقرا

و لم يزل يبكيك

ذكرى شقيق رثيت فعاش ما كل ميت

بالراحل المتروك

كم استعدت سناه فراعنــا أن نـــراه

في دمعك المسفوك

فعاشت "مي" يتيمة أخويا، وحيدة، لا أخ ولا أخت تتقاسم وإياهم أتراح الحياة وأفراحها، فكتب لها أن تنشأ وحيدة في أسرتها، وحيدة بين أتراحها، وحيدة في وطنها!.

1.3 موت الوالدين:

وهبت "مي" نفسها لوالديها وأدبها، فلم تتزوج، ولم تنجب لها ولدا يملأ عليها فراغها، بل تفرغت لأبيها وأمها، ولكن سرعان ما اصطدمت بفقدانهما"و لما مات أبواها على التوالي

استسلمت "مي" إلى الهموم، ووجدت في العزلة القاتلة سلوة لها، وغالبتها ألوان من الوساوس فقطعت ما بينها وبين أصدقائها من صلات و أصبحت لا تطيق لقاء أحد، وعادت إلى مصر – بعد أن كانت قد حملت إلى لبنان – و قد شيبتها الهموم، وبدت تجاعيد الوهن والألم في وجهها الوسيم. .." (محمد عبد الغني حسين: حياة مي، 1943، صفحة 5).

ولا توجد هناك صدمة أبلغ و أشد على النفس من فقدان الإنسان لوالديه: فكل مصيبة قد يحتملها و يصبر عليها كرها إلا تلك التي تتعلق بالوالدين.

"وقد حدث أن توفي والدها في سنة 1929 فبدأت الآنسة "مي" تتذوق مرارة الحزن، وجرعت جراء ذلك أول كأس لمأساتها، وأطمعت هذه المأساة البعض فيها، فعانت شقاء هذا الطمع، وصاروا في كل حين حتى ضاقت بهم وضاقت بالدنيا وسئمت الحياة في ضيقها الشديد، وسأمها الطويل، تحاول أن تعبر ولا تشكو و تخفي و لا تعلن..." (العقاد، 1968، صفحة228).

وبفقدان "مي" لوالدها تفقد سندا مهما في حياتها، فله يعود الفضل في شق طريقها والتغلب على الصعاب والمشاق التي صادفتها في بداية مشوارها الأدبي، ويبادر جبران في تعزية "مي" في هذا المصاب الجلل، ليخفف من وطأة أحزانها: "يا ماري، يا صديقتي العزيزة.عرفت اليوم أن والدك قد ذهب إلى ما وراء الأفق الذهبي وأنه قد بلغ المحجة التي يقصدها الناس كلهم، فماذا يا ترى أقول لك؟ " أنت يا ماري أبعد فكرا وسمعا من تلك الألفاظ التي يقولها الناس معربين مواسين. ولكن في قلبي الرغبة والشوق إلى الوقوف أمامك وفي قلبي الحنين إلى ضم يدك بيدي صامتا شاعرا بكل ما يغمر روحك الحلوة على قدر ما يستطيع القريب أن يشعر بما تشعرين. .." (الكزبري، 1979، صفحة 201).

وتتهاطل عليها رسائل من هنا وهناك يعبر فيها أصحابها عن تعاطفهم مع "مي" لما أصابها فتكتب لها "أنا ماريا نالّينو" (أنا ماريا نالينو: مستشرقة إيطالية معروفة و هي أخت الأستاذ كارلو ألفونسو نالينو. و رسالتها هذه مترجمة عن اللغة الإيطالية): "... لقد دفعني إلى الكتابة إليك اليوم النبأ المؤلم الذي بلغنا لأعبر لك عن عمق مشاعري وعن مشاركتي لك بالفاجعة التي ألمت بأسرتك المحترمة. ومازلت أذكر قلقك المشوب بالحنو عندما كنت تتلهفين هنا على أخبار والدك الفاضل، وهذا ما يجعلني أقدر جيدا أثر فداحة الخطب في

نفسك، أنت البنت البارة إذ تشاطرين والدتك حزنها الكبير إزاء هذه الخسارة الفادحة. .." (سلمى الحفار الكزبري: مي زيادة وأعلام عصرها، رسائل مخطوطة لم تنشر 1912_1940)، 1982، صفحة 362).

ولم يهادنها الدهر فلم تنس حرقة فقد الوالد إلا ويقف لها القضاء بالمرصاد، إذ تمرض والدتها وتلحق بوالدها، ليكتب لمي الشقاء المعنوي والعذاب النفسي المضاعف.

وبفقد "مي" لأمها تفقد الحنان والرجاء، كما تفقد البشاشة والسعادة لتعود إليها مشكلة الشركاء في الأرض الموروثة المعقة، فقد أصبحت وحيدة، يعاودها الحنين إلى والديها (وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها و آثارها، 1969، صفحة 174).

و" مي" تدري عظمة أمها وتدرك أنها فقدت شخصا عزيزا لا يعوض، وبذلك فقدت قلبا آخر يحن عليها هي التي كتبت يوما: "إن الولد ليعلم دواما وسط النوائب واليأس أن هناك قلبا يحبه ويشعر معه ويلتمس له الأعذار، ويظلل عاره و ألمه و انحداره بجناح العطف والمحبة والغفران، و ذلك هو قلب أمه. من أجل ذلك فقط نحب الأم ونقدسها و نجعلها مبدأ الحب على الأرض و في السماء!.

ولذلك نشفق على اليتيم الذي ليس له مثل هذا الكنز الذي لا يثمن و أوجع من اليتم عن طريق الموت اليتم الذي تحكم به الحياة. .." (زيادة:، 1982، صفحة 159).

فهل كانت "مي" تدرك أنه سيأتي اليوم الذي تقلب أوراقها لتقرأ ما خطته أناملها يوما عن الموت؟ هل كانت تعلم أن "يوم الموتى" سيشمل ذويها و تصبح كغيرها الذين فقدوا أقاربهم أن يذهبوا في هذا اليوم – يوم الموتى– للمعايدة؟ "... اليوم عيد الموتى وهذا شهر الموتى. هذا شهر الكآبة المزدوجة: كآبة الحسرة والدموع عند الشعوريين و كآبة التأمل و التبحر عند الباحثين و المفكرين... "(زيادة، ظلمات وأشعة، المؤلفات الكاملة ج 2: جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، 1982، صفحة 334)".

فأصبحت "مي زيادة" يتيمة الأم و الأب معا، هي التي تحدثت عن اليتم ذات يوم و كأنها مهدت لهذا اليوم الموعود: "... و لئن كان هناك يتامى حرمهم الموت إعزاز الأبوين و عنايتهما فلكم من ولد يعيش يتيما و إن قضى عمره بين أبيه و أمه!.

كم من و لد ترهقه الأثقال، و يتحتم عليه اقتحام المصاعب تحت مهماز الحياة القاسية، فيئن في وحدته باكيا: " إني في حاجة إلى أب! إني في حاجة إلى أم !أريد من الأب عطفا

مقرونا بجزم الرجل، و أريد من الأم حنانا ممزوجا بتبصر المرأة!" (الصحائف ، 1982، صفحة 496).

وبذلك تفقد الأب الذي يسندها والأم التي ترتمي بين أحضانها تبثها شكــواها و قسوة الدهر عليها، ولكنها سنة الحياة فكما جرح الذين كانوا قبلنا سنجرح نحن أيضا هكذا هي الحياة ! وهكذا قالت "مي": ". .. هي الحياة! ولن تفرش الأيام سبلنا بالورود وإن أجهدتم نفوسكم، أيها الآباء الألباء في نزع الأشواك تحت خطانا وإزاحة العثرات التي تعترضنا.

تجرحنا الحياة كما جرحتكم، وتصرعنا قبضتها العنيفة فنمتثل ريثما ينجز المقدور ما تحتم أن نكابده من عذاب ونكال. .. (الصحائف، 1982، صفحجة 499) ".

ولم تفرش أيام "مي" بالورود، فتلقت صفعة موجعة، كانت موت والدتها، فتلقت تعـــــازي من الأصدقاء، الذين ما فتئوا عن مواساتها. فيبعث إليها "شبلي الملاط " برسالة مواساة: "حضرة الآنسة النابغة. يشجيني أن يفرق الموت بينك وبين سلوتك الوحيدة، وأن تكتنفك الوحشة على فراق الوالدين، ويعزيني أنك الفتاة الفيلسوف التي تعلم كيف تعزي نفسها في وحدتها!!

ويشهد الله أنني من أشد الناس لوعة لمصابك ! ألهمك الله الصبر الجميل، ومتع الوجود بطول بقاك الغالي سيدتي" (الكزبري:، 1982، صفحة 396).

ومهما كانت مواساة هؤلاء وغيرهم "لمي" فإنهم لا يملكون رد القضاء، إنما يملكونمؤازرتها بعبارات رقيقة تشذ أزرها وتكون لها عونا معنويا ولكن"...أي نصيبأمر من هذا؟

ألا إنما قيمة الحياة في رهبة الموت الذي هو جزء منها، وإذا أردنا البصر في أحوال الناس ورأينا تلك الوجوه السقيمة، والأجسام المشوهة، والأعضاء البتراء، ورأينا ذوي العاهات الأخلاقية الذين ينزلون في المجتمع المصائب ويظلون عالة عليه طول حياتهم، إذا رأينا ذلك أدركنا ضرورة الموت وعرفنا فيه محسنا كريما.

ثم، أي اسم غير اسمه يخفف من حزن الحزين، و أي خيال غير خياله يلطف من يأس الآيس. (زيادة، سوانح فتاة، المؤلفات الكاملة ج2:جمع وتحقيق: سلمى الحفار الكزبري، 1982، صفحة 579.590) ؟

وبعد "حادثتي الموت" انطوت "مي" على نفسها، فلم تعد تستقبل أحدا كما كانت بالأمس وتوقف ناديها الأدبي الذي كان يزين العمارة، لاسيما وقد فجعت في أصدقائها المقربين منهاالواحدتلو الآخر.

2.3 موت الأصدقاء:

كان رجال الفكر من كل مكان يتوافدون على صالون "مي" الأدبي، يتبادلون فيه الرأي ويتناقشون في شتى الأمور، فكونوا بذلك – بالإضافة إلى التراث الأدبي– ألفة أدبية فيما بينهم، "... إلا أن الموت سرعان ما فرق شمل هؤلاء الرواد. فقضى ولي الدين يكن سنة 1921، وتبعه إسماعيل صبري سنة 1923، بعد أن سبقتهما إلى دار الخلود ملك حفني ناصف (باحثة البادية) سنة 1918. ثم توفي مرشدها وصديقهاصروف سنة 1930. وجاء تدهور صحة جبران عام 1931 وموته ليمعن فيآلامها (عواد، 1981،صفحة 13.14).

فوقفت تبكي باحثة البادية في حفل أقامته السيدات المصريات سنة 1919، وفيه حثت السيدات الشرقيات للاقتداء، بها (حسن، صفحة 100) قائلة: "... فليحمل الهواء حديث اجتماعنا إلى من لم تحضره من أخواتنا في القاهرة، (...) ولتردد النساءاسم المرأة المصرية الكبيرة "باحثة البادية " فيكون هذا الاسم عنوان نهضتنا النسائية الجديدة (...) أماأنت، يا أم الباحثة، فلك أنقى ما في القلوب من احترام وإجلال! وساعة تذهبين لزيارة حفني ناصف الراقد هناك في مدينة الذين رحلوا، قولي: إن اسمه مجيد مرتين: مجيد بعلمه وفضله، ومجيد لأنه والد امرأة مجيدة. .." (زيادة:، 1982، صفحة 92).

وهذه الخطبة نجدها مسجلة أيضا في كتاب باحثة البادية لمي، وقالت في رثائها: "... ولكن موتها ليس فناء. إن أمثالها يحسنون للجمهور وهي محسنة للجنس النسائي (...) فلئن بكيت اليوم الصديقة الوفية والثغر الحلو البسام، فإني أحيي المرأة الخالدة بمآثرها و أحني الجبهة أمام المحسنة الغيورة. إن باحثة البادية لا تموت ولا يمكن أنتموت (...) فوداعا أيتها الراحلة الكريمة! لئن نزل البلى الرطبة فإن الخلود نصيب ذكرك وفضلك. (...) وأنا التي عرفتك وأحببتك، مع الدموع التي أذرفها على ذكركترينني جاثية أمام ضريح ضم جسمك الثمين لأضع عند جوانبه شكرنا لك. لكن الأزهار تموت، أما شكرنا فخالد كفضلك (زيادة، باحثة البادية، 1982، صفحة 170)!".

بهذه الكلمات التأبينية التي تمس شغاف القلب وتزعزعه رثت "مي" باحثة البادية، ثم تجسد خسارة الأمة بفقدها لأولئك النوادر أمثال الباحثة، فتقول: "... ذلك لأن مثل هؤلاء النوادر لا يخص أسرته فحسب إنما تكون أمته بفقده خاسرة. لما صمت صوت الباحثة للمرة الأخيرة أدرك الجمهور أن ذلك الصوت كان شجيا، وأن القلم الذي انتزعته مخالب الردى كان صريره موسيقيا. أليس من طبيعة الأنام أن لا يفطنوا لجمال شيء وندرته إلا بعد الغياب الذي لا حضور وراءه؟ !..." (زيادة، باحثة البادية، 1982، صفحة 171)

هكذا كانت "مي" وفية لصديقتها "باحثة البادية " ويشتد بها القنوط بعد أن خطف الموت أشخاصا تعزهم، وتستأنس بقربهم، كما تحزن لبعدهم، فاستسلمت لليأس وكادت تنتهي تحت وطأة كوابيس الموت؛ فتعطي صورة حية عن معاناتها الهوجاء"... يمضي الموتى تاركين للأحفاد وراثات حسية ومعنوية ينعمون بها، وشرفا قوميا يعززونه، وتقاليد يحافظون عليها. أما أنا فلم يبق لي من آثار موتاي سوى الأثقال المعلقة في يدي وعنقي. أثقال إذا حاولت طرحها والفرار جرت قدماي ما هو أثقل منها. فهبطت على طريق جلجلتي تشير نحوي أصابع المتشفين الساخرين، وليس من يد رحيمة تعين وتؤاسي (زيادة، 1982، صفحة 365). "

وهكذا شعور"مي" بعد موت والديها، وتكالب الآخرين عليها، لاستغلالها وضربها في عقلها، وهي ضربة قاضية على أديبة رقيقة مثل "مي" ضحت بزهرة شبابها و نضارته لتعطي رصيدا هائلا وثمارا طيبة للمكتبة الأدبية، فكان جزاؤها العذاب.

"مي" التي خذلها المجتمع، ولم يرحمها وهي كانت به رحيمة!

"مي" الأديبة الرقيقة التي عصفت بها الهموم، الشديدة التأثر بآلام الآخرين، التي لم يمت أحد الأشخاص الذين كانت على علاقة به إلا ويحز في نفسها فقده، ويؤسفها فراقه ". .. ألا فلترفرف هذه الفكرة على مضجعها الأخير رفرفة رقيق النسمات وحبيب الذكريات (اليازجي، 1982، ص192)!".

وكما نرى فإن أسلوبها في وصف ما ألمبها فيه ذوق يستشعر أصحاب الذوق "... فهو أسلوب خاص بمي لا تقلد فيه أحدا إلا ذاتها و إن بدت في بعضه ملامح الأدب الغربي من ناحية الروائي والعاطفي (...) فأسلوب "مي" في الكتابة هو من نوع الأدب الذي تمتزج فيه

العاطفة الصادقة بالعلم المنطقي الصحيح" (منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة، 1954، صفحة 122.121).

وهكذا معظم كتاباتها وجدانية، عاطفية، ذلك أنها امرأة أولا، ثم ميلها الرومنطيقي ثانية، لاسيما عندما تكتب عن المرأة، ولنأخذ مثلا خطبتها التي تليت في المدفن عند موت "يعقوب صروف "[1] هذا الأخير الذي تأثرت لموته أبلغ وأشد تأثير، قائلة:"... مات صروف، يا آل صروف! فجعنا وإياكم فيه فقدناه من حظيرة بني الإنسان. فهل رأيتم خطبا تجمعت فيه خسارات أكثر من هذه الخسارات؟

مات صروف يا زوجة صروف! (...) مات صروف، يا أبناء صروف وإخوانه وأقاربه وأصدقاءه وتلاميذه (...) مات صروف، يا أبناء الجيل القديم ! (...) مات صروف يا سوريا! (...) مات فتاك، يا لبنان! (...) مات صروف يا مصر! (...) مات صروف، أيها العالم العربي! (...) مات صروفنا، أيها الغرب! مات الذي كان ينشر كنوز قومه (...) مات صروفنا، يا علماء العالم (...) مات صروف، أيتها الحقيقة (...) مات صروف في الشهر الذي ولد فيه وقبل عيد ميلاده بعشرة أيام. فهو يحمل في نعشه سر الولادة و سر الموت، ومعجزة الوجود والفناء في الصور والأشكال ليتم جوهر الخلود (...) أيها الصديق! أيها الأستاذ! أيها الكاتب و الخطيب! أيها العلامة الحكيم ! يا رجلا فاضلا الفضل كله! أيها العظيم بوداعتك وبساطتك عظمتك بعلمك وامتيازك! أنت بجمودك و سكوتك تقول "وداعا أيها الأحياء!" ونحن نقول بتفجعنا ودموعنا قولنا بإعجابنا وشكرنا "إلى اللقاء في حضن الله! (زيادة:، 1982، صفحة 169-172) ".

وبناء عليه تمتاز مي بقوة التعبير الصادق عن عواطفها. ففي خطبتها التأبينية التي ودعت بها صروف حاولت أن تعبر عن لحظة تلقيها خبر الموت والتفاعل معه، وحاولت التعبير عن الألم وإبراز مدى تأثرها بموت هذا الصديق العزيز عليها.

1 - يعقوب صروف (1852-1927): عالم وصحفي كبير، ولد في "الحدث" بلبنان وتعلم في الكليةالأمريكية ببيروت انتقل إلى مصر حيث أنشأ مجلة المقتطف في الإسكندرية سنة 1876، كان من أئمة المترجمين عن الانجليزية.

وبمراجعتنا لهذه الخطبة وغيرها يتضح لنا جليا أنها كانت تعنى أشد العناية بإعداد خطبها. فالخطابة عند "مي" فن يحتاج إلى حذق وإتقان وليس مجرد كلام مرتجل. ومع مراعاتها للأصول التي وضعها أرسطو لهذا الفن، نجحت في تكوين أسلوبها الخاص الذي يحمل طابعها ويعبر عن شخصيتها.

تستهل خطبتها –عادة – بمقدمة وجيزة لافتة للنظر، تستوحيها من المناسبة، أو من مثل قديم، وقول شائع. أو من فكرة علمية كالتي افتتحت بها خطبتها في وداع الأستاذين[2] محمد الخضري ومحمد المهدي في الجامعة المصرية. قالت: "في أعالي الفلك صورة سماوية تدعى" الشلياق".أجمل نجومها نجم من القدر الأول اسمه"النسر الواقع"وهو درة فريدة تبهر الأبصار زرقتها اللامعة. رصده علماء الفلك فوجدوه محجة الكواكب. وجدوا أن جميع الكواكب تندفع نحوه في الفضاء وهو لبعده الشاسع لا ينتهي إليه نظامنا الشمسي إلا بعد ملايين الدهور. ..." (زيادة:، 1982، صفحة64)

ثم تنتقل من وصف هذا الكوكب إلى ذكر القوة التي مزقت حجب المجهول وكشفت أسرار هذا الكوكب الجديد، ألا وهي قوة الفكر الإنساني.

تمتاز خطبتها بالوحدة والتسلسل والحرص على أناقة العبارة وجودة الوصف. ولها أفانين في الكلام

تثير انتباه السامع إذ تنقله من الوصف والسرد والتقرير إلى استفهام يليه جواب. وبينما هي تخاطب المحسنين في كل أرض ومكان. تلتفت من صيغة المتكلم إلى صيغة المخاطب من النفي إلى الإثبات.

في خطبتها التأبينية التي ودعت بها صروف أكثرت فيها من التكرار اللفظي وذلك لشد انتباه السامع والتأثير فيه واجتذابه،فما بالك إذا كانت هي نفسها متأثرة بموت هذا الصديق العزيز عليها؟

[2]–محمد الخضري: مفتش أول، اللغة العربية في وزارة المعارف الذي كان يدرس في الجامعة تاريخ الأمم الإسلامية والشيخ محمد المهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعي الذي كان يدرس تاريخ الآداب العربية.

فقد تمنت الموت قبله ليكتب عنها: "لا شك عندي في أن كل كاتب يتمنى أن يكون له من يذكره على هذه الصورة بعد موته، وأتمنى أن ينالني ما نال باحثة البادية من حسن الحظ لأن المخلصين قليلون حتى بعد موت الكاتب. والعداء له والغيرة منه، وتعمد تصغير شخصيته والنيل من مقامه يبرز إلى الوجود بعد سكونه في قلب الثرى. وعندنا على ذلك براهين شتى. وكفى أن نذكر إدجار ألن بو المسكين.

نعم أتمنى أن يأتي بعد موتي من ينصفني و يستخرج من كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الإخلاص والصدق والحمية والتحمس لكل شيء حسن وصالح و جميل لأنه كذلك، لا عن رغبة في الانتفاع به.

وقد قال قوم أن هذه صفة حسنة. وإذا كانت لي صفة فهي تنحصر في هذه. .. وأنا سعيدة بها لأنها كل شخصيتي.. بل أتمنى أن أموت في حياتك أنت لتقوم لي بذلك العمل المبارك، فأكون خالدة بخلود قلمك الذهبي لا باستحقاقي!" (جبر، 1951، صفحة40.41).

وتشاء الأقدار أن يموت "صروف"قبل "مي"، فلم يحقق لها ما كانت تتمناه، لأن القدر حكم بأن يخطفه قبلها، بل قدّر لها هي أن تكتب عنه، وعن غيره "... اليوم يوم النفي، يا زوجة سعد(...) اليوم يوم الوحشة. (...) الشعب يتيم يبكي أباه، ولا يخفف الجوى إلا صوت الأم الحنون. فاستبسلي يا أم الشعب الباسلة. .." (زيادة:، 1982، صفحة 182)

وقالت في تأبين فتحي زغلول باشا: "... موقف جليل وآهات الحياة حكم باهرات،والدموع، دموع سعد باشا!... إنها دموع عظيمة آتية من بعيد، من أعماق المحبة المقدسة،إنها سيال حب تدفعه أبدية القلب الراحل في لوعة القلب الباقي..." (الصحائف، 1982 صفحة 182).

وهكذا أرقها شبح الموت وطرد الكرى من جفونها، وأصبح هاجسا عندها وكأن القدر أبى إلا أن يزيدها كآبة وحزنا، فبعد موت أستاذها يعقوب صروف والباحثة، توفي والدها ثم والدتها، لتفجع مرة أخرى في جبران قبلة أمانيها.

3.3 موت جبران الحبيب:

"حسنا فعلت بأن رحلت! فإذا كانت لديك كلمة أخرى فخيرلك أن تصهرها،وتثقفها، وتطهرها لتستوفيها في عالم ربما يفضل عالمنا هذا في أمور شتى..." (الكزبري، 1979، صفحة 25).

بهذه العبارات الموجعة عبرت "مي" عن حزنها العميق على وفاة جبران الذي وافته المنية عام 1931، وفي ختام هذا المقطع الوجداني، أفصحت "مي" عن شوقها للرحي لو لم يرحمها القدر بل عاشت بعد جبران عشر سنوات ونيف، وكانت هذه الأعوام أسوأ سني حياتها، فقد صدعها موته جسديا وروحيا، فلا الناس ولا الرحلات ولا المطالعة ولا الكتابة أنستها فقدان جبران! (الكزبري، 1979، صفحة 25).

وتجدر الإشارة إلى أنها اصطحبت معها رسائل جبران إلى لبنان، وكانت تستأنس بها؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفائها لـ"جبران".

لقد ذاقت "مي" مرارة اليتم، وهذا اليتم تشكل في موت والديها فصارت يتيمة بالمعنى المتعارف عليه، ولكنها كانت يتيمة أيضا لأن حبها أصبح يتيما ذلك أنها فقدت طرفه الثاني، لأن "مي زيادة" أرادته أن يعيش وبقيت على وفائها للحب الذي جمعها يوما بجبران الذي فضلته على سائر رجال العالم!

فلو أنها فرطت في حبها بعد موت جبرانها ما قلنا: إنه صار يتيما، بل نقول مات الحب بموت جبران ولكن هذا الحب عاش بعد موته، وخلدته "مي" في قلبها فهو لم ينته إلا بموتها.

بعد هذه الأحداث العاتية التي تلقاها قلب "مي" وعقلها اسودت الدنيا في عينيها فاعتزلت الناس، وركنت إلى همومها وأحزانها، وكانت تجد متنفسا لآلامها في الأسفار والكتابة أي لجأت إلى التعويض، ولكنها لم تنجح فسرعان ما وقعت في كآبة وتعرف هذه، الحالة "التي تصيب النساء بين الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين من العمر والرجال بين الخمسين والستين من العمر بسوداء التغيرات الارتدادية.وهي تتعلق بتغيير نمط الحياة في ذلك العمر، وانخفاض النشاط الهرموني في الجسد، والقلق حول القدرات المهنية والجنسية" (آرثرشنايدر، 1992، صفحة136)، وهنا نفسح المجال للحديث عن تلك المحنة التي رافقت "مي" في نهاية حياتها.

4. مواجهة الموت وحتميته:

لم تكن نهاية مي نهاية عادية، فلقد توالت الصدمات عليها، فحرمت من حنو الوالدين وسندهما، كما حرمت من جبران، فتألمت جدا، وأنكى آلامها الحرمان!حرمت الزوج، حرمت الأولاد وهي التي كانت ترى أن المرأة خلقت لتكون أما! ولكن حرمانها من الحب كان بمثابة

القطرة التي أفاضت الكأس. "... قد يقال ما هذا الحب وبينهما بحور أقل أمواجها جبل...." (عبود، 1972، صفحة 159).

وبموت آخر سند لها في الدنيا "جبران الحبيب "فقدت رغبتها في الحياة فعاشت "مي بعده كراحيل لا تريد أن تتعزى، استبدت بها "الفكرة الثابتة"فأبغضت الناس وتحامتهم لأنهم سعدوا دونها حتى أبت أن تستقبل طه حسين الذي سعى إليها، بل أنبأته –كما روى –إن ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصال، ولا خطاب ولا حديث إلا من طريق الكتابة فإن كانت لك كتب ولم أقرأها فأرسلها إلي، وأما شخصك فلا أراه ولا يراني. .." (الدروبي، صفحة 248).

وهذا الموقف الذي يبدو غريبا منها يدخل في إطار التألم الذي يعبر عنه بكيفيات مختلفة "الحداد بوصفه فكاك، والتي تشعرنا بفقدان الحب الذي هو فقدان لأنفسنا، هذا الانفكاك الذي سماه فرويد (عمل الحداد) يجعلنا أحرارا بانتظار توظيفات عاطفية جديدة" (ريكور، 2008، صفحة 244).

غرقت مي في حدادها واستسلمت للحزن والكآبة واعتزلت البشر وتطلب المساعدة من ابن عمها الذي جنى عليها واستغل رسالة كتبتها إليه في لحظة ضعف لتجد نفسها في مستشفى للأمراض النفسية والعصبية،واتهمت بالجنون وتم الحجر عليها وعلى أملاكها

"...و ما كادت "مي" تعرف أنها تحولت في نظر الناس إلى "مجنونة"، يجري عليها ما يجري على المجانين، حتى جنت فعلا، ضمن جدران المصح و حاولت أن تقتل نفسها خنقا. و لكن هذه الجنة لم تكن، في واقع الأمر، سوى ثورة منها لكرامتها، و تمرد على نظرة الآخرين إليها..." (اللطيف، 1965، صفحة 69).

ومع ذلك لم يجف قلمها وبقي سيالا فكتبت عن" ليالي العصفورية –"المشفى الذي أدخلت إليه–حيث وصفت مارأته وما عانته هناك،كما ألفت كتابا آخر لم ينشر بعنوان "في بيتي اللبناني"ومؤلفات أخرى لم تنشر لحد الآن. ..

"ولكن مايثير الإعجاب فعلا هو صمود "مي" ومتابعتها النشاط الأدبي في تلك الفترة –حيث ألقت محاضرة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة 1939 ونشرت البعض من مقالاتها، ولكنها في أكثر الأحيان كانت تظل منعزلة و بقيت على هذا الحال إلى أن تردت صحتها و لفظت أنفاسها الأخيرة في 1941/10/19بمستشفى المعادي الذي نقلت إليه في حالة غيبوبة. .." (الكزبري، 1982، صفحة 17).

و هكذا رحلت "مي" مخلفة وراءها كما ثقافيا هائلا، يشهد عـــلى ما قدمت في حياتها، و هكذا سارت إلى خالقها... وهكذا "... تكسونا الحياة كرداء سحري لا تبلى خيوطه. و تحضننا السماء فنحن فيها مقيمون قبل الحياة و بعد الموت. و الجحيم و الفردوس في نفوسنا يتناوبان تغزونا الحياة في الانحدار وفي الانتصار،فنحن أبطالها ونحن ضحاياها سواء شئنا أو لم نشأ (...) نحن نخلد الحياة بفنائها و هي تفنينا بخلودها و نحن أبدا كذلك حتى تثلج الشموس و تضمحل قـــوى العناصر وتتفكك عرى الأكوان سابحة في فضاء الأنوار، و في البقاء الأوحد في حضن الله..." (زيادة، 1982، ص 339). ووريت الثرى إلى جانب والديها في إحدى مدافن القاهرة. وما كان أحرى أن يحفر على قبرها تلك الكلمات التي كتبتها في مقالها: "يوم الموتى" (سعد، صفحة 367)سنة 1920. ". .. هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف و البسمات و في قلبها الآلام و الغصات، عاشت و أحبت و تعذبت و جاهدت ثم. .. قضت" (زيادة، المؤلفات الكاملة ، 1982، صفحة 336).

هنا يحق لنا أن نسأل: ألم تتوقع "مي" أن يداهم الموت أصدقاءها ووالديها، كما داهـــم سواهم من البشر؟ هل ظنتهم خالدين دون سائر الناس؟ هل كانت من الضعف والاتكالية في حالة تجعلها عاجزة عن العيش وحدها كما تعيش كثيرات من الأرامل، والمطلقات والعوازب؟ إن امرأة لها مثل شخصية "مي" وتفكيرها، لا يروعها فقد والديها وهو أمر لا بد أن يختبره كل إنسان في الوجود. ولا تخشى الانفراد ولها من منجزاتها وذكرياتهاوأصدقائها رفقاء تأنس لهم وتركن إليهم. ..

وإنه لمن الأمور التي تثير العجب أن هذه الأديبة التي وقفت قلمها على بث الأفكار الشجاعة، الداعية إلى النضال والتحدي والوقوف في وجه المصاعب، عجزت عن تطبيق تلك الآراء على ذاتها، فأهملتها إهمالا فادحا.

تقول في مقالتها "غاية الحياة": الحب هو الرابطة الكبرى. كدت أقول الرابطة الوحيدة بين أجزاء الكون و بين الإنسان و الموجودات. و هو وحده دواء السآمة وبلسم التعزية الفعال. وكيف نتناول ذلك الدواء ونتغذى بذلك القوت الإلهي؟ السبيل واحد لا ثاني له و هو العمل" (الكزبري، 1982، صفحة 252).

وتقول في فكتور هيغو، من مقال كتبته بمناسبة مرور سنة على وفاته و نشرته في مجلة "الرسالة" سنة 1935: "استطاع أن يناضل الألم بقوة أقوى من الألم، و استغل جميع المصاعب و الحوائل لإنماء شخصيته و استحثاث مواهبه، فكان سيدا في زمن عصفت فيه الأطماع وكثر فيه السادة والنابهون" (زيادة، 99، 1935).

وفي مذكراتها تقول:"قضبان النوافذ في السجن تنقلب أوتار قيثارة لمن يعرف أن ينفث في الجماد حياة"...سعادة الإنسان طوع إرادته. فالرجل الشجاع الذكي يعرف كيف يجمل كأس آلامه حلوة المذاق، و يحول غذاءه الحقير إلى أفخر المآكل، و يجعل من الماء خمرته المعتقة بلونها و صفائها، و من مضجعه الخشن فراشا وثيرا، و يعرف أن يحل الأمل محل اليأس". وحين سئلت سنة 1935: "ما أمنيتك في الحياة؟ "أجابت: "أن تكون لي دائما أمنية" (جبر، 1951، صفحة 60.43.180).

إن مذهبها في الفقرات والأقوال التي اقتطفناها أعلاه هو مذهب الأقوياء المتفائلين القادرين على تذليل المصاعب و تحويل الألم إلى غبطة. أولئك الذين وصفهم المتنبي بقوله:

وتعظم في عين الصغير صغارها

و تصغر في عين العظيم العظائم

لم تقطع "مي" صلتها بالناس ولا نشاطها الكتابي دفعة واحدة بعد وفاة والديها.[3]بل ظلت تكتب في "المقتطف" و "الرسالة". وكان آخر ما نشرته، في مايو/أيار 1935مقالة من صنف النثر الشعري عنوانها "هو ذا الربيع"، خصت بها مجلة "الرسالة" التي كانت تنشر فيها أكثر كتاباتها في تلك السنوات. نتاجها في ذلك الحين، على قلة ما وصلنا منه، ينم على قريحة ما تزال في إبان نشاطها وتوقدها. منه أقاصيص ونقد وشعر منثور، وقصيدة فرنسية عنوانها "ارتياب"، نشرتها منظومة في الفرنسية،منثورة في العربية.

لكن يظهر أنها كانت في السنوات الثلاث التي تلت 1932تعاني آلاما نفسية دفعتها إلى التدرج نحو العزلة والتلهي بالتدخين أو بمطالعة الكتب القديمة، ككتب التواريخ. الآثار

[3] – توفى والدها سنة 1930 ووالدتها سنة 1932.

ومناجاة الأرواح، حتى خطر لها أن تكشف أمرها إلى نسيبها الدكتور جوزيف زيادة، في الرسالة التي كتبتها له والتي سبق الحديث عنها.

". .. منذ مدة طويلة لم أعد أكتب[4] و كلما حاولت ذلك شعرت بشيء غريب يجمد حركة يدي و وثبة الفكر لدي. .. (جبر، 1951، صفحة 47).

هذه الرسالة التي استخلصنا منها أن "ميا" كانت تعاني نفسيا وكانت تشعر بآلام لا تعرف سببها. تشعر بوحدة معنوية أو نفسية، وبهذا تشير إلى أن وجود أصدقاء حولها لا يبدد وحدتها. تلجأ إلى التدخين لتنفس ألمها كما سبق أن لجأت إلى السياحة في سنتي 1932و 1934 التبديد همومها. ولشدة عذابها تفكر في الانتحار.

قد ينطبق على حالة "مي" هذه نوع من أنواع العصاب يسمونه "الهبوط النفسي"، "الانهيار العصبي" أو "الردة الهبوطية" (Dépressive neurosis, depressivereaction, depression). تعريفه في موسوعة ومعجم الطب والتمريض (Encylopedia and dictoionary of medecine and Nursing (Miller and Keane)):"هبوط عميق وطويل الأمد، قد يخلقه موت شخص عزيز، معاناة فشل أو خيبة أمل. يزول بعد زمن عند الشخص السوي لكنه يسيطر على العصابي الذي يتضاءل عنده إذ ذاك النشاطات الجسمية والعقلية، يصاب بالأرق، يفقد شهوة الطعام، وإذا اشتدت عليه الحال، يطلب الموت".

بناء على ما ذكر تكون حالة "الهبوط العصابي" أشد انطباقا على وصف "مي" لذاتها من حالة "الاختلال النفسي".

أما ما حدث بعد الرسالة التي وجهتها إلى نسيبها فهو أن زيادة جاءها زائرا في القاهرة وأقنعها بضرورة مرافقته إلى لبنان حيث أقامت في بيته مدة تأزمت فيها حالتها. فنقلت إلى مستشفى الأمراض العقلية (العصفورية). لكن أعراض التوتر الانفعالي لازمتها هناك فأخذت ترفض الطعام والعلاج. تشكو الظلم والاضطهاد و تشمل بنقمتها الأطباء والممرضات

4 – منذ أربعة شهور على وجه الضبط لأن آخر مقالاتها نشرت في أيار من تلك السنة، في مجلة "الرسالة " المصرية.

وجميع الذين كانوا حولها. وفي ذلك المكان الشبيه بالسجن كتبت مذكرات سمتها "ليالي العصفورية" لا تزال حتى اليوم مجهولة المصير.

لكن بعض الأصدقاء الذين بلغهم خبر سجنها وعذابها في "العصفورية" توسطوا لنقلها إلى مستشفربيز في بيروت، حيث أصرت على الشكوى واعتزال الناس. ثم تحسنت حالتها تدريجيا بعد أن تعاون الأصدقاء وعدد من الصحافيين، منهم فؤاد حبيش صاحب جريدة "المكشوف"، على نجدتها ومؤانستها. وفي الحديث الذي أدلت به إلى جريدتي "الحديث"و"صوت الأحرار" نراها تشكو بمرارة وألم أولئك الذين اتهموها ظلما بالجنون، من أطباء وصحافيين، وزعموا أنها تكسر الحديد وتخنق الأطفال. ثم تعبر عن استيائها الشديد من المعاملة الخشنة التي لقيتها في "العصفورية" ومن الإهمال الذي أظهره نحوها رجال الأدب والقانون والجمعيات النسائي" (سعد، صفحة، 244.247).

تنال "مي"من الطبيب الاختصاصي تقريرا بشفائها فتخرج من مستشفى ربيز وتستأجر في رأس بيروت بيتا تقيم فيه ويعود إليها نشاطها وهدوؤها. ويدعوها صديقها الكبير أمين الريحاني للاصطياف في بلدته الغريبة فترضى وتستأجر هناك بيتا مجاورا لأسرة الريحاني. وتقضي برفقة أولئك الأصدقاء أيام صفاء واطمئنان.

ثم كانت محاضرتها حول "رسالة الأديب إلى الحياة العربية"، بدعوة من جمعية "العروة الوثقى" في الجامعة الأمريكية. تلك المحاضرة التي أقنعت الجموع المتقاطرة لاستماعها بأن "ميا" في محنتها لم تفقد سحر بيانها ولا قوة تفكيرها.

5. خاتمة:

تؤشر المعلومات المستقاة عن حياة مي وكتاباتها عن موضوع الموت والعصاب والعقد النفسية على طبيعة الخطاب الذي تنتمي إليه، وقد حاولت أن تتحدث عن الموت في دلالاته القدرية باعتبارها سلطة بيولوجية ولكنها حاولت متابعة ماهية البدايات والنهايات كما بدا لها. وأن ما قيل أو كتب عن نوع مرضها وعوامله، مهما بلغ من الصحة، لا يتعدى نطاق الفرضيات والتكهنات.

أولا: في تعليل حالة "مي"، لا يجب أن نحصر رهاب الموت في سبب واحد نظير خيبة أمل أو صدمة عاطفية، أو حزن دفين مسيطر، أو عوامل فيزيولوجية بحتة. لأن لكل ظاهرة نفسية أسبابا، لا سبب واحد. والإنسان مسير دائما بعاملين: البيئة والوراثة والاستعداد

الخاص. واختلافا لأفراد في تصرفاتهم واستجاباتهم ينشأ من اختلافهم في العاملين: الذاتي والبيئي.

ثانيا: سيطر عليها التشاؤم من الطبيعة البشرية بعد أن أساء أقاربها فهمها ومعاملتها.وتملكتها النقمة العدائية على الناس الذين صفقوا لها في صباها وفي إبان نشاطها، فكأنهم حتموا عليها أن تبقى عند حسن ظنهم وأن تواصل نشاطها،السابق لكي تستحق رضاهم و رعايتهم. كذلك في وسعنا أن نجد لاضطرابها أساسا آخر في تربيتها. فقد كانت امرأة مثالية تنشد المستحيل و تتلقى الأحلام. وإيمانها بمناجاة الأرواح وميلها إلى درس الآثار التي كانت تحدث عنها طه حسين حين خرجت بصحبته لزيارة الهرم"وكانت أحاديثها عن الروح المصري القديم من أعمق الأحاديث و أروعها" (حسن م.صفحة 44).

سيضاف إلى هذا ما طرأ عليها في سن الكهولة من تغيرات فيسيولوجية تحدث للمرأة عادة في هذه السن، إذ يضعف عندها نشاط الغدد التناسلية، وتتعرض للوهن والتوتر العصبي. كما يجب أن تضيف ما أصابها من وحشة وما تعرضت له من متاعب فقد والديها، إذ حاول استغلالها المستغلون واصطياد ما لديها من ثروة و لو قليلة. ثم ما لاقته في مستشفى العصفورية من خشونة وتحقير وسوء معاملة.

جميع تلك العوامل، كما يظهر، رسخت فيها ظاهرة السويداء والحساسية المفرطة. ومع أنها انتعشت وظهرت عليها دلائل الشفاء، عقب إقامتها في الفريكة بصحبة الريحاني، ظلت ثورتها النفسية في حالة كمون يهدد بالانفجار. وبعد رجوعها إلى مصر عادت إلى إدمان العزلة واجترار الماضي، حتى لازمها الذهول ورفضت الطعام، وتمكن منها الضعف والانهيار الذي انتهى بموتها.

6. قائمة المراجع:

1) –محمد عبد الغني حسين :*حياة مي* .بيروت :مطبعة المقتطف والمقطم(1943) .
2) –*ينظر :وداد سكاكيني :مي زيادة في حياتها و آثارها* .مصر :دار المعارف .(1969).
3) *مي زيادة :المؤلفات الكاملة، جمع وتحقيق :سلمى الحفار الكزبري،* .(Vol. 1)بيروت : مؤسسة نوفل(1982) .
4) Dépressive neurosis, depressivereaction, depression. (n.d.).

5) Encylopedia and dictoionary of medecine and Nursing (Miller and Keane). (n.d.).

6) آرثرشنايدر .*كيف تتعايش مع التوتر العصبي؟ ترجمة وداد الشيخ* .عين مليلة :دار الهدى . (1992)

7) الدروبي ,س .*علم النفس والأدب، منشورات جماعة علم النفس التكاملي* .بيروت :دار المعارف.

8) الرازي ,م .ب .*الصحاح، منجد عربي، عني بترتيبه :محمود خاطر،* .(Vol. 1)دار الحداثة،(1983).

9) العقاد ,ع : .*لمحات من حياة العقاد المجهولة* .بيروت :دار الكتاب العربي(1968) .

10) الكزبري ,س .ا ..*و سهيل بديع بشروئي :الشعلة الزرقاء،رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، ،* .دمشق :منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي(1979) .

11) الكزبري ,:س .ا .*مي زيادة وأعلام عصرها، رسائل مخطوطة لم تنشر 1912-1940(* .(Vol. 1)بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

12) اللطيف ,ع .*شرارة :مي زيادة، سلسلة أدباؤنا* .بيروت :،دار صادر(1965) .

13) اليازجي ,م .ز .، *المؤلفات الكاملة ج :1جمع وتحقيق :سلمى الحفار الكزبري* .(Vol. 1) بيروت :مؤسسة نوفل،(1982).

14) بدوي ,ع .ا .*الموت و العبقرية،وكالة المطبوعات،الكويت،دار القلم، بيروت،لبنان، (د،ط)، 1945،ص، 5، .4*بيروت .الكويت :دار القلم .وكالة المطبوعات(1945) .

15) جبر ,ج .*رسائل مي-صفحات وعبرات من أدب مي الخالد* .بيروت :منشورات مكتبة . (1951)

16) حسن ,م .ع .*مي أديبة الشرق والعروبة، .(*دار الثقافة العربية للطباعة والنشر،.

17) خلدون ,ا .*المقدمة* .الجزائر :أنيس(2021) .

18) ريكور ,ب .(2008) .*فلسفة الإرادة، الإنسان الخطاء، ترجمة عادل نجيب الدين* بيروت : المركز الثقافي العربي.

19) زكريا ,إ .*مشكلة الحياة،مشكلات فلسفية* . القاهرة :دار مصر للطباعة.

20) زيادة ,م .*سوانح فتاة، المؤلفات الكاملة ج:2جمع وتحقيق :سلمى الحفار الكزبري* .بيروت : مؤسسة نوفل(1982) .

21) زيادة ,م : .(17 5 ,1935) .ج1،السنة الثالثة،العدد 99،تاريخ 1935- 5-17مقال ل بعنوان":أميبرجلوارمز الشبيبة المعذبة"،ص .*الرسالة* 849 ,، .852

22) زيادة ,م .*ابتسامات ودموع، المؤلفات الكاملة ج :2جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري* .(Vol. 1)بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

23) زيادة ,م ..*باحثة البادية، المؤلفات الكاملة ج :1جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري،مؤسسة نوفل،بيروت،لبنان،ط1،* .(Vol. 1)بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

24) زيادة ,م .*ظلمات وأشعة، المؤلفات الكاملة ج :2جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري* .(Vol. 1)بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

25) زيادة ,:م .*كلمات و إشارات، ج2، المؤلفات الكاملة :جمع وتحقيق :سلمى الحفار الكزبري* .(Vol. 1)بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

26) سعد ,ف .*باقات من حدائق مي* .

27) *سلمى الحفار الكزبري :مي زيادة وأعلام عصرها، رسائل مخطوطة لم تنشر .1940_1912)*بيروت :مؤسسة نوفل(1982) .

28) عبود ,م .جدد *وقدماء* .(Vol. 4)بيروت :دار الثقافة(1972) .

29) عواد ,س .*من أدب مي زيادة*، .بيروت :دار عواد للطباعة والنشر،(1981).

30) فرويد ,س ..*أفكار لأزمنة الحرب والموت* .(Vol. 1)بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر (1981) .

31) لعرج، و .مي */ليالي إيزيس كوبيا –ثلاثمئة ليلة وليلة في جحيم العصفورية* .بيروت :دار الآداب(2018) . .

32) *منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة*. معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية :القاهرة(1954) .